مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الهندسية المجلد (4) العدد(10) 2020
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies - engineering Sciences Series Vol. (4) No. (10) 2020

طرطوس القديمة بين الحاضر والمستقبل

* ديمة جابر قرفول

(تاريخ الإيداع 8/9 /2020. قُبِل للنشر في 16 /11/2020)

□ ملخّص □

سيتطرق البحث لدراسة مدينة طرطوس القديمة، في شرق المتوسط، وخصوصاً دراسة وفهم الفراغ العمراني لهذه المدينة التي تعود للقرون الوسطى. وصل الصليبيون إلى ساحل بلاد الشام في القرن الحادي عشر الميلادي مع الحملات الصليبية الأولى، قاموا ببناء العديد من القلاع في المنطقة، حيث كانت طرطوس هي الوحيدة التي تحولت إلى مدينة سكنية على أنقاض حصن صليبي. لهذا السبب ، تعتبر طرطوس فريدة من نوعها في الشرق لما تقدمه مبانيها من ثراء معماري رائع يعود إلى عصور تاريخية مختلفة.

في الوقت الحاضر ، يمكننا أن نؤكد أن مدينة طرطوس القديمة لم يعد لها أية هوية: لقد فقدت شخصيتها القديمة ، في الوقت الذي لم تكتسب فيه أية ميزة من العمارة المعاصرة. إن إدخال المفردات "الحديثة" لمبانيها لم يعطها أية خصوصية. لذلك، سيكون الهدف الرئيسي هو الوصول أولاً إلى تحديد البنية الحضرية لمدينة طرطوس، من خلال التأكيد على المعالم التاريخية المنتشرة في جميع أنحاء المدينة والضائعة بين المباني السكنية التي بنيت لاحقاً. في خطوة ثانية ، سنهتم بدراسة الوضع الحالي لمدينة طرطوس القديمة ، بتسليط الضوء على إهمال المدينة من جميع النواحي والتدهور الحاصل فيها نتيجة هذا الإهمال.

بعد التطرق للوضع الراهن للمدينة، يصبح من الضروري وضع بعض الاقتراحات لإعادة تأهيل مدينة طرطوس القديمة من أجل تحسين الوضع السياحي والاقتصادي لهذه المدينة ووضع سكانها أيضاً.

الكلمات المفتاحية: طرطوس، سوريا، شرق المتوسط، القلاع الصليبية، الصليبيون، فرسان الهيكل.

* مدرس _ كلية الهندسة المعمارية_ جامعة طرطوس .

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الهندسية المجلد (4) العدد(10) 2020
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies - engineering Sciences Series Vol. (4) No. (10) 2020

La vielle ville de Tartous entre le présent et l'avenir

Dimah Karfoul *

(Received 9/8/2020. Accepted 16/ 11/2020)

Résumé:

Nous avons intéressés dans cette recherche, à la vieille ville de Tartous en Orient méditerranéen, et plus particulièrement à comprendre la genèse de l'espace urbain de cette ville médiévale. Notons ici qu'au Moyen-Âge, et plus précisément au XI^{e} siècle, les Croisés sont arrivés sur la côte levantine. Ils y ont construit une multitude de citadelles dont Tartous est la seule qui fut transformée en habitat. C'est pour cette raison, Tartous est unique d'une richesse architecturale remarquable qu'offre ses édifices des époques différentes.

À l'heure actuelle, nous pouvons confirmer que la vielle ville de Tartous n'a plus d'identité : elle a perdu son caractère ancien, et ne récupère aucun aspect moderne : son accueil des équipements modernes dans la construction et dans le décor ne lui donne aucune spécificité.

Notre objectif est donc, d'arriver dans un premier temps, à déterminer la structure urbaine de la ville de Tartous. Nous nous intéressons à mettre l'accent sur les monuments historiques dispersés dans la ville. Dans un deuxième temps, nous présentons l'état actuel de la vieille ville de Tartous, et montrons la négligence de la ville. Ce travail a été , aussi, réalisé dans le but de proposer quelques suggestions à l'échelle de la vieille ville de Tartous, afin d'améliorer la situation touristique et économique de cette ville, ainsi de ses habitations.

Mots clés: Tartous, Syrie, Orient méditerranéen, citadelle des croisades, Croisades, Templiers.

مقدمة:

طرطوس كغيرها من المدن السورية، كانت قد سكنت منذ القديم وبدون انقطاع. هذه الإشغالات المتتالية، والعشوائية أحياناً، وإن أدت إلى إخفاء بعض آثار المدينة، لكنها حافظت على العديد من الآثار القديمة، وخاصة من الفترة الصليبية. شغلت تلك الآثار العديد من صفحات الكتب[1،2،3،4]، ولكن مع الأسف لم نلحظ إلا دراسة معمقة وحيدة[5] تخص البيوت التي بنيت ضمن المدينة الصليبية في الفترة اللاحقة لخروج الصليبيين من الشاطئ الشرقي للمتوسط في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي.

تضم طرطوس آثاراً كثيرة تشكل شواهداً على استضافة هذه المدينة لحضارات مختلفة ومعروفة عبر التاريخ. هنا نجد المساجد، الكنائس والحمامات وهناك القلعة، الأسوار والأقبية حيث الأعمدة والأقواس والمفردات المعمارية المختلفة. لكن ما يميز مدينة طرطوس حقيقة، هو التحول والانتقال من قلعة صليبية إلى مدينة سكنية بالكامل، فقد شكلت كل العناصر الآنفة الذكر قاعدة لظهور وولادة البيت التقليدي في طرطوس، الذي مازال موجودا إلى يومنا هذا.

هدف البحث:

إن القيمة التاريخية لمدينة طرطوس القديمة تتعدى سوريا لتطال الانسانية. بالتالي، فإن الحفاظ على المعطيات التاريخية لهذه المدينة يحكم نموها السياحي، وبالتالي الاقتصادي، مستقبلاً. لذلك فإن الهدف من هذا البحث هو التوصل إلى وضع رؤى عامة لمستقبل مدينة طرطوس القديمة، تضمن الحفاظ على مفرداتها التاريخية وتوظيفها بما يخدم المدينة سياحياً.

1. طرطوس عبر التاريخ:

حضارات متعددة ومعروفة عبر التاريخ تركت بصمتها في طرطوس. عقود، أقواس، أعمدة، منحوتات ومفردات أخرى متنوعة، شكلت أساساً لمدينة مازالت موجودة إلى يومنا هذا. رحلتنا في طرطوس إذاً هي رحلة عبر الزمن، أكثر ما يميزها هو عدم الانقطاع الملفت للنظر. مدينة كانت ومانزال مسكونة من قبل العديد من العائلات، الأمر الذي أسهم بالحفاظ على جزء مهم من مفرداتها المعمارية ولو بشكل عشوائي.

في العصر الفينيقي، برزت أرواد (Arados) وبناتها الثلاث[6]: كارنيه (Carné) إلى الشمال قليلاً، عمريت (Marathos) إلى الجنوب، و طرطوس (Antrados) مقابل أرواد. أصبحت طرطوس إذاً، الملجأ البري لسكان أرواد الدولة ـ الجزيرة. في عام 539 قبل الميلاد، وكواحدة من بنات أرواد، أصبحت طرطوس جزءاً من الولاية الخامسة

[1] CLAVERIE P. V., *L'ordre du Temple en Terre Sainte et à Chypre au XIIIe siècle*, Nicosie Cyprus Research Centre, 2005.

[2] ENLART C., *Les monuments des Croisés dans le royaume de Jérusalem, Architecture religieuse et civile*, textes I, II, et plans, Geuthner, 1925, 1927.

[3] CAHEN C., *La Syrie du Nord à l'époque des Croisades et la principauté franque d'Antioche*, Geuthner, Paris, 1940.

[4] DESCHAMPS P., *Les châteaux des Croisés en Terre Sainte*, III, *La défense du Comté de Tripoli et la Principauté d'Antioche*, texte et plans, Geuthner, Paris, 1973 ; II, *La défense du Royaume de Jérusalem*, texte et plans, Geuthner, Paris, 1939.

[5] KARFOUL, D., *La conception architecturale de l'habitat urbain en Orient méditerranéenne du XIV^e au XIX^e siècle, étude d'architecture domestique, l'exemple de la vieille ville de Tartous/ Syrie*, thèse de doctorat, université Lumière, Lyon II, Vol. I, II, III, IV, V, 2008.

[6] J.P Rey- COQUAIS, *Arados et sa pérée aux époques grecque, romaine te byzantine*, Paris, 1974.

للفرس[7]. يقال حسب المراجع التاريخية، أنها كانت نسبياً مزدهرة بفضل التجارة[8]. قبل أن تصبح تحت سيطرة الاسكندر الاكبر بطلب من عام 332 قبل الميلاد[9].

في العصر الروماني، شهدت طرطوس تطوراً ملحوظاً[10]: بني فيها المرفأ الروماني الذي بقيت آثاره طويلاً حتى ستينيات القرن الماضي. كما أعيد بناء المدينة عام 345 م وسميت قنسطنطيا (Constantia). دخلت المسيحية طرطوس في نهاية القرن الرابع الميلادي. بنيت فيها أول كنيسة في الشرق مكرسة للسيدة مريم العذراء. احتل عبادة بن الصامت الأنصاري طرطوس عام 638 م. بدأت، منذ ذلك التاريخ، المدينة بالتقهقر وأصبحت قرية صغيرة للصيادين[11].

نصل الآن للتاريخ الأهم بالنسبة لطرطوس، شباط عام 1099 للميلاد. في ذلك التاريخ، دخل الصليبيون طرطوس بقيادة رايموند دو سان جيل (Rymond de Saint Gille)، قائد الحملة الصليبية الأولى[12]. استطاعوا بذلك، من جهة، السيطرة على نقطة استراتيجية هامة لمراقبة الطريق بين طرابلس وإمارة أنطاكية، وحماية الاتصالات البحرية للجيش الصليبي من جهة ثانية. في عام 1152، خضعت طرطوس، ولفترة قصيرة، لسيطرة العرب المسلمين، قبل أن يقوم البابا بيدوان الرابع ملك القدس بإصدار قرار بوضع طرطوس تحت سلطة فرسان الهيكل الذين عملوا، ومن أجل تأمين الحماية لأراضيهم، على تحسين العناصر الدفاعية بشكل ملحوظ كما عملوا على تدعيم المرفأ الروماني. بدؤوا إذاً، ابتداء من عام 1183 للميلاد، ببناء القلعة التي بقوا فيها قرابة قرنين من الزمن[13].

بعد معركة حطين عام 1187، واجه صلاح الدين الأيوبي في بداية عام 1188 الحملة الصليبية الثالثة وبدأ بالهجوم على الساحل السوري. حاصر طرطوس، حيث هدم جنوده الأسوار ورموا حجارتها في البحر، لكنهم لم يستطيعوا السيطرة على الحصن الكبير (Le Donjon) الذي كان محصناً ومحمياً بالخندق المائي؛ بالنتيجة، ترك صلاح الدين الحصار وتابع طريقه باتجاه الشمال[14]. تعد طرطوس واحدة من آخر مدن الفرنجة التي وقعت في يد المماليك، فقد استرد السلطان الأشرف خليل طرطوس من يد الفرنجة في آب عام 1291، التاريخ الذي فر فيه فرسان الهيكل إلى جزيرة أرواد قبل أن تحتل، تلك الأخيرة، كلياً من قبل المماليك عام 1303. بدأت طرطوس ومنذ ذلك الوقت، بفقدان مكانتها خاصة بعد فقدان جميع تحصيناتها، لهذا السبب كان قد أوردها العمري عام 1340 من بين المدن غير المحصنة[15]. استمرت مكانة المدينة بالتراجع في العهد العثماني، إلى أن تحولت طرطوس الى قرية صغيرة للصيادين، تابعة لولاية طرابلس.

---

[7] CONTENAU G., *La civilisation phénicienne*, Payot, Paris, 1926, p. 80.

[8] BUNNI A., « La Syrie à l'époque hellénistique et romaine», *Syrie, mémoire et civilisation*, Flammarion, 1993, p. 268.

[9] DUSSAUD R., *Topographie historique de la Syrie antique et médiévale*, tome IV, Geuthner, Paris, 1927, p. 121.

[10] REY G., *Etude sur les monuments de l'architecture militaire des Croisés en Syrie et dans l'ile de Chypre*, Imprimerie nationale, Paris, 1871, p. 69.

[11] YANOSKI M.-J.,. DAVID M.-J, *Syrie ancienne et moderne*, Firmin Didot Frères, Paris, 1848, p. 47.

[12] DESCHAMPS P., *La défense du comté de Tripoli et de la principauté d'Antioche*, Geuthner, Paris, 1973, p. 8.

[13] REY G., *Etude sur les monuments de l'architecture militaire des Croisés*, 1871, p. 70.

[14] DESCHAMPS P., *La défense du comté de Tripoli*, 1973, p. 127.

[15] ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، الجزء الثاني، المجمع الثقافي، 2003، ص. 71.

2. تنظيم مدينة طرطوس القديمة:

قسم فرسان الهيكل مدينة طرطوس إلى قسمين: المدينة الأسقفية التي تضم كاتدرائية سيدة طرطوس، المستخدمة اليوم كمتحف، والقلعة أو ما كان يطلق عليه اسم مدينة فرسان الهيكل.

(الشكل رقم 1)

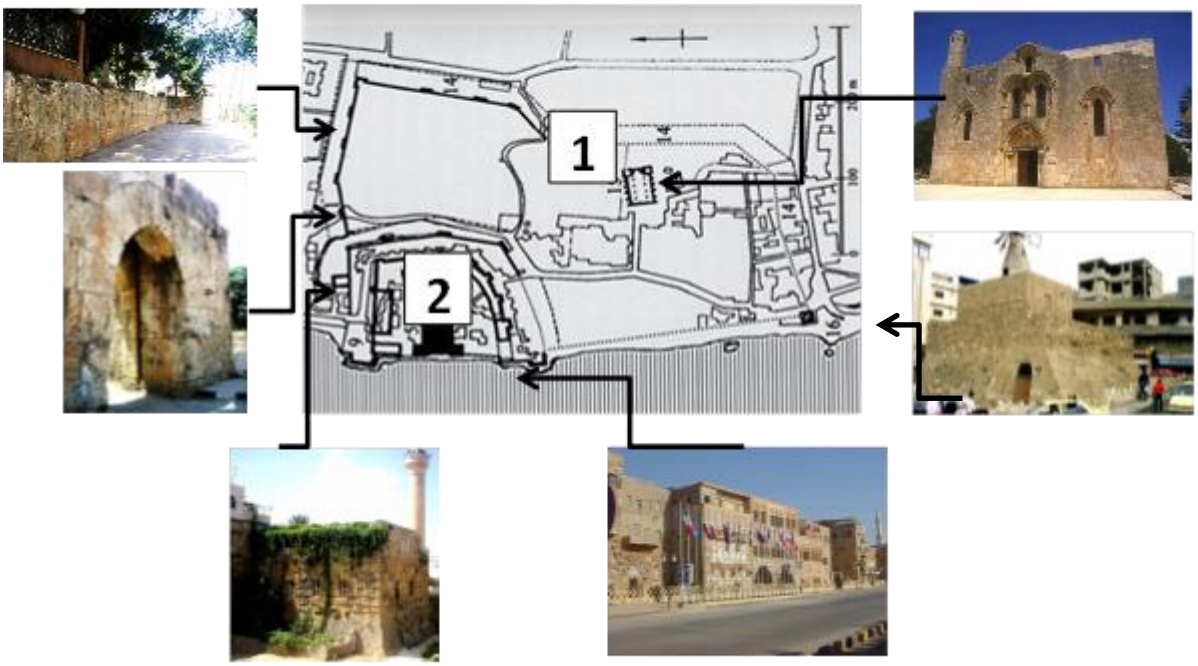

1- المدينة الأسقفية، 2- قلعة فرسان الهيكل

الشكل رقم 1، مخطط مدينة طرطوس القديمة

المصدر: Braune[16]، 2001

2.1 المدينة الأسقفية:

يعود من جديد الباحث Deschamps ليصف في عام 1973، مدينة طرطوس القديمة في العصور الوسطى. شكلها شبه منحرف، تضم كاتدرائية سيدة طرطوس في جزئها الجنوبي، وقلعة فرسان الهيكل التي تشغل القسم الشمالي الغربي. لم يتبق لنا من هذه المدينة حالياً سوى القليل: البوابة الرئيسية، جزء بسيط من السور، والكاتدرائية.

2.2 كاتدرائية سيدة طرطوس:

أول كنيسة مكرسة باسم السيدة العذراء في الشرق[17]. تلك الكنيسة المهمة في زمن البيزنطيين، أعيد بناؤها في عهد الصليبيين. يتم الدخول إلى الكاتدرائية من واجهتها الغربية، المميزة بطابعها المعماري الصليبي البسيط الذي يعود إلى القرن الثالث عشر. يعلو البوابة نافذتين مزودتين بأعمدة، يعلوهما نافذة ثالثة مشابهة. تتميز الواجهة الشرقية بوجود

[16] BRAUNE M., *Tartus und sein Hinterland* , Archaologische Forschungen in der syrischen kustenregion von der Antike bis ins Mittelalter, Deutsches Archaologisches Institut, Damaskus, 2001.
[17] PILLET M., *Syria*, t. X, Geuthner, Paris, 1929, p. 41.

برجين أعطوا للكاتدرائية شكل قلعة. داخلياً، تتميز الكاتدرائية بمسقط معماري بسيط، عبارة عن مستطيل 39.65 × 28.40 م، بثلاثة أروقة، الأوسط أعرضها. سقف هذا الرواق بقبو نصف دائري مرتكز على صفين من الدعامات وينتهي بمحراب. أما الرواقين الجانبيين فقد تم تسقيفهما بعقود متقاطعة. (الشكل رقم 2)

بعد خروج الصليبيين من طرطوس، تراجعت أهمية الكاتدرائية بشكل ملحوظ، حيث حولت إلى جامع عام 1851، قبل أن تحولها مديرية الآثار إلى متحف عام 1914.

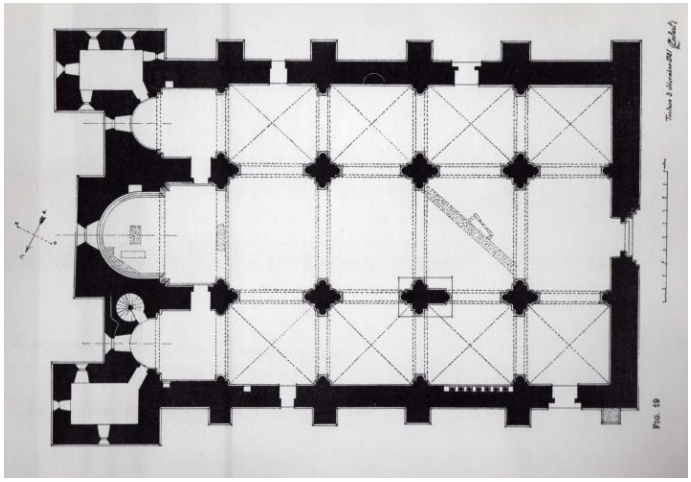

الشكل رقم 2، مسقط معماري لكاتدرائية سيدة طرطوس

المصدر : Enlart

2.3 قلعة فرسان الهيكل:

بالإضافة إلى الكاتدرائية، تضم المدينة الأسقفية، في القسم الشمالي الغربي منها، قلعة فرسان الهيكل. القلعة التي شكلت أساساً للحي السكني الذي بدأ بالتشكل في الفترة المملوكية واستمر ليومنا هذا.

بدأ إذاً فرسان الهيكل ومنذ عام 1183 للميلاد، ببناء القلعة التي تتألف من سور مضاعف محاط بخنادق مائية محفورة في الصخر. مدخلها الرئيسي شمالي، وهو عبارة عن برج كان يطلق عليه اسم برج البوابة. في القرن الثالث عشر الميلادي، شيدت داخل الأسوار كافة المباني التي من الممكن أن تميز أية قلعة شرقية في تلك الفترة: كنيسة فرسان الهيكل، قاعة الفرسان المخصصة للاجتماعات والتي تعتبر أنموذجاً للعمارة الصليبية. (الشكل رقم 3)

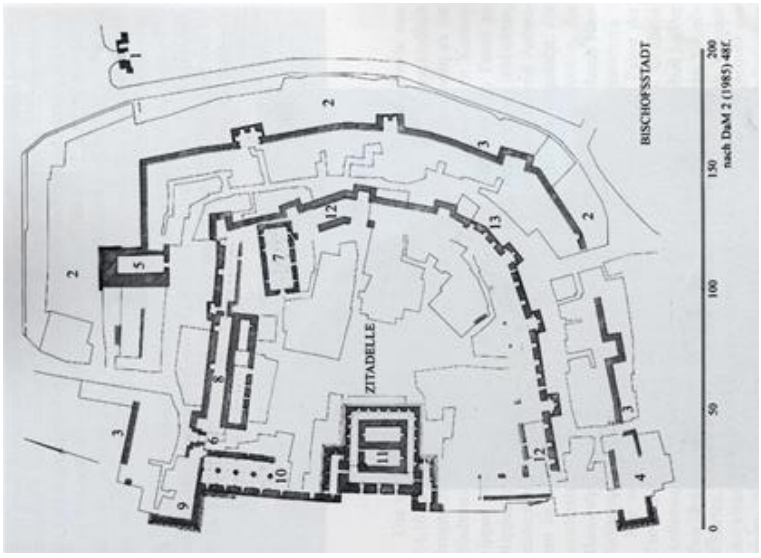

1 . البوابة الرئيسية، 2. الخندق، 3. السور الثاني لمدينة طرطوس القديمة، 4. برج، 5. برج البوابة، 6. برج، 7. كنيسة فرسان الهيكل، 8. قاعة فرسان الهيكل، 9. برج، 10. الصالات البحرية، 11. الدونجون، 12. السور الثالث لمدينة طرطوس القديمة.

الشكل رقم 3، قلعة فرسان الهيكل

المصدر : Braune[18]، 2001

2.3.1 برج البوابة:

جامع البلدية حالياً. عبارة عن برج بقاعدة هرمية. أطلق عليه إنلارت[19] اسم (Le corps de garde)، أي الحارس. من جهة ثانية، يقول (P. Deschamps): إن هذا المدخل مزود بكوات للقذائف ودرف خشبية مدعمة. داخلياً، بحسب Deschamps أيضاً، البوابة عبارة عن فراغ مسقوف بقبو متقاطع (شكل رقم 4). يلحظ وجود درج في الداخل، أي أن هناك احتمال وجود طابق علوي[20].

[18] BRAUNE M., *Tartus und sein Hinterland* , Archaologische Forschungen in der syrischen kustenregion von der Antike bis ins Mittelalter, Deutsches Archaologisches Institut, Damaskus, 2001.

[19] ENLART C., *Les monuments des Croisés dans le royaume de Jérusalem, architecture religieuse et civile*, tome VII, VIII, Geuthner, 1927.

[20] DESCHAMPS P., *Les châteaux des Croisés en Terre Sainte, III, La défense du Comté de Tripoli et la principauté d'Antioche*, texte, Geuthner, Paris, 1973, p. 290.

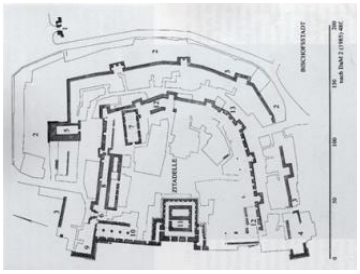

المصدر : Deschamps

المصدر : Enlart

شكل رقم 4: برج البوابة

2.3.2 الحصن الكبير (الدونجون):

يتوسط الواجهة البحرية لقلعة فرسان الهيكل (شكل رقم 5). بني عام 1169 م[21] بمساحة 1750 م2. لم يتبق منه حالياً سوى صالات الطابق الأرضي. حسب مخطط راي، كان الدونجون محاطاً بخندق من جهاته الثلاث (حالياً غير موجود)،ومزود ببرجين مربعي الشكل بطول ضلع يبلغ 16 م لكل برج.

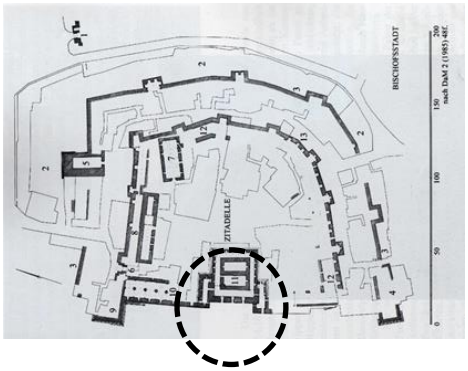

المصدر : Enlart المصدر : الباحثة

شكل رقم 5: الدونجون

تتصل صالات الطابق الأرضي للدونجون مع البحر بواسطة بوابة (ماتزال حالياً موجودة)، من هذه البوابة تم على الأرجح خروج آخر صليبي من طرطوس عام 1291. يلحظ أيضاً غياب المكسر (الجزء المائل أسفل الجدار الخارجي)، مما يؤكد فرضية وجود البوابة، وأنه عن طريق هذا الجزء كان يتم تزويد القلعة بما

[21] BARBE H. et DAMATI E., «Le château de Safed», *La fortification au temps des Croisades*, 2004, p. 90.

تحتاجه عبر البحر. حالياً، يأوي الدونجون حوالي 14 أربع عشرة عائلة، تعيش في بيوت مختلفة وموزعة على طابقين فوق صالات الطابق الأرضي.

2.3.3 قاعة فرسان الهيكل:

نموذج فريد عن عمارة القرن الثالث عشر[22]، تقع على الجزء الشمالي من السور الثالث للمدينة (شكل رقم 6). للأسف لم يتبق الكثير من معالم هذه القاعة، حيث تنغمس بعض الأقواس وتيجان الأعمدة في البناء الأحدث.

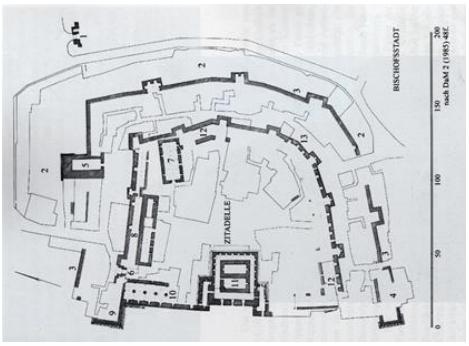

المصدر: Enlart

المصدر: الباحثة

شكل رقم 6: قاعة فرسان الهيكل

كانت الصالة الكبيرة ذات العقود، صالة اجتماعات واستقبال للسفراء والزوار الرسميين. إن الرفع المعماري الذي قام به روجيه روجيسيراند عام 1922[23]، أظهر أن هذه الصالة ذات مسقط مستطيل الشكل بأبعاد 44 × 15 م (شكل رقم 7). كانت تتألف من جناحين مسقوفين بستة عقود متقاطعة، يفصل بينهما صف من خمسة أعمدة.

[22] DESCHAMPS P., *Les châteaux des Croisés en Terre Sainte, III, La défense du Comté de Tripoli et la principauté d'Antioche*, texte, Geuthner, Paris, 1973, p. 291., ENLART C., *Les monuments des Croisés dans le royaume de Jérusalem, architecture religieuse et civile*, texte II, Geuthner, 1925, p. 428.

[23] ENLART C., *Les monuments des Croisés dans le royaume de Jérusalem, architecture religieuse et civile*, Album, 1927, planche 175-183.

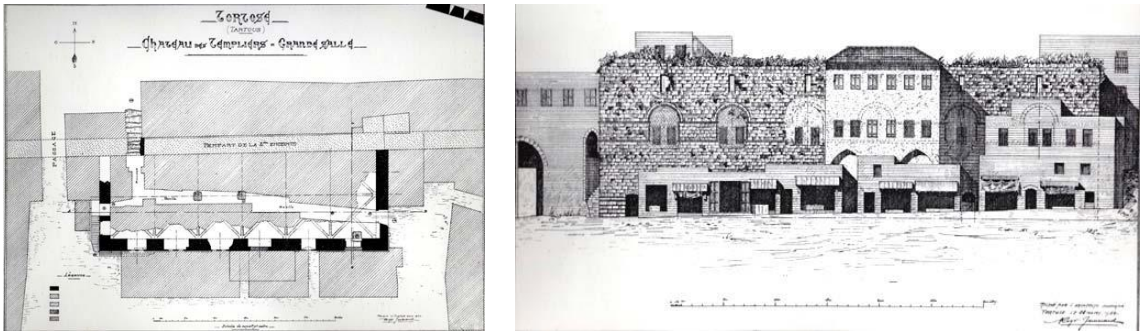

المصدر : Deschamps

شكل رقم 7: قاعة فرسان الهيكل عام 1922

تضم القاعة نوعين من النوافذ: في الطابق السفلي نوافذ قوسية كبيرة مقسمة بدورها بواسطة أعمدة صغيرة، إلى قسمين أو ثلاثة أقسام قوسية أيضاً. وفي الطابق العلوي تحوي مرامي سهام (شكل رقم 8). تأوي قاعة الفرسان حالياً أكثر من 18 ثمان عشرة عائلة. هي كالحصن الكبير (الدونجون)، من الأبنية الصليبية التي تحولت إلى أحياء سكنية مع ممرات ضيقة وأزقة تقطعها من الشرق إلى الغرب.

نوافذ الطابق العلوي نوافذ الطابق السفلي

شكل رقم 8: النوافذ في قاعة فرسان الهيكل

المصدر : الباحثة

2.3.4 كنيسة فرسان الهيكل (مصلى الفرسان):

الكنيسة ذات الرواق الوحيد، وبدون محراب، عبارة عن بناء ديني متواضع للرهبان يعود بناؤه إلى القرن الثالث عشر. تعد من أقدم الكنائس التي بناها فرسان الهيكل، على غرار كنيسة كولومبير و فريسنوا في فرنسا[24]. الكنيسة عبارة عن قسم رئيسي يحوي على عدد من الأعمدة ذات الطراز الغوطي. مسقطها مستطيل،

[24] CLAVERIE P.-V., *L'ordre du Temple en Terre Sainte et à Chypre au XIII^e siècle*, tome I, 2005, p. 299.

يبلغ طولها 29.40 م وعرضها 14.10 م وارتفاعها 10.70 م. يشكل جدارها الشرقي جزءاً من السور الثالث للمدينة لذلك لا يوجد فيه فتحات.

تقع البوابة الرئيسية للكنيسة، وهي عبارة عن قوس كبير مدبب، على الواجهة الغربية، الواجهة الوحيدة المتبقية رغم تشوهها الملحوظ. من الجدير بالذكر أن كنيسة فرسان الهيكل تحتفظ بجدرانها الأربعة، ببوابتها، ببعض الأعمدة والأقواس وجزء من التسقيف. (شكل رقم 9)

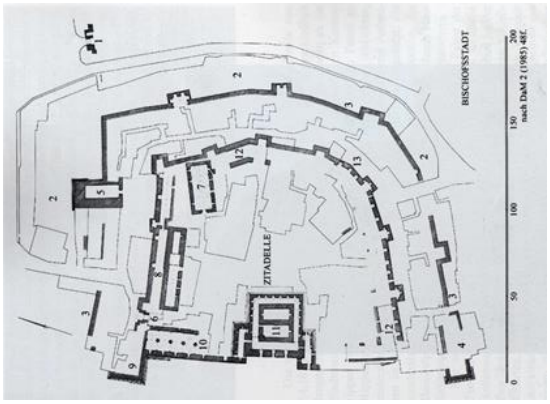

المصدر : Enlart المصدر : الباحثة

شكل رقم 9: كنيسة فرسان الهيكل

حالياً، تم بناء مسكنين في القسم الغربي من الكنيسة وبعض المساكن ارتكزت أيضاً على الجدار الشرقي، بالإضافة إلى وجود بعض آثار البناء في قلب الكنيسة. بالتالي، تشكل كنيسة فرسان الهيكل حالياً، كما الدونجون وقاعة الفرسان، حياً سكنياً صغيراً.

2.4 الأسوار:

بنيت أسوار مدينة طرطوس القديمة، وعددها ثلاثة، من الحجارة الضخمة. تتميز بسماكتها الكبيرة[25] وهي مزودة بأبراج دفاعية مربعة.

2.4.1 السور الأول:

يحيط بالمدينة الأسقفية سور يمكن اعتباره السور الأول لمدينة طرطوس القديمة. يمكننا حالياً تتبع الأجزاء المتبقية من هذا السور بالقرب من مصرف التسليف الشعبي.(شكل رقم 10)

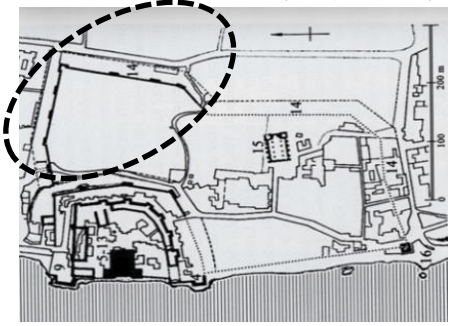

المصدر: Enlart

المصدر: الباحثة

شكل رقم 10: السور الأول لمدينة طرطوس القديمة.

يحيط به خندق مائي، هو سور مبني من حجارة ضخمة منحوتة بعناية بسماكة 2,5 متر[26]. ذو شكل شبه منحرف، يحيط بالمدينة من ثلاث جهات، حيث البحر من الجهة الرابعة. في وسط الضلع الشمالي من هذا السور، تتوضع البوابة الرئيسية للمدينة الأسقفية. بوابة على شكل قوس مدبب، مجهز من الداخل بفتحات لصب الزيت المغلي على الأعداء. من العناصر المتبقية أيضاً من هذا السور، أربعة أبراج في الجزء الشمالي بتباعد 35 م فيما بينها، والبرج الجنوبي الغربي المعروف ببرج الطاحونة والمستثمر حالياً كمطعم (توروسا).

2.4.2 السور الثاني:

على نفس مبدأ السور الأول، بني السور الثاني ليفصل الكاتدرائية عن قلعة فرسان الهيكل[27]. أحيط هذا السور أيضاً بخندق مائي. يمكننا تتبع السور الثاني للمدينة من نقطة انطلاقه، برج البوابة، متابعاً طريقه باتجاه الشرق لمسافة 35 م قبل أن ينحرف باتجاه الجنوب راسماً شكل قوس ليصل إلى البحر. حالياً، يمكن ملاحظة بقايا هذا السور وهي 4 الى 5 امتار فوق منسوب الارض الطبيعية (شكل رقم 11). بسماكة تصل إلى ثلاثة أمتار، يضم السور سبعة أبراج بتباعد 25 م بين البرج والاخر.

[25] BORDONOVE G., *La vie quotidienne des Templiers au XIII^e siècle*, 1975, p. 155.
[26] DESCHAMPS P., *Les châteaux des Croisés en Terre Sainte, III, La défense du Comté de Tripoli et la principauté d'Antioche*, texte, 1973, p. 289
[27] حسب مخطط مدينة طرطوس للعالم راي

شكل رقم 11: السور الثاني لمدينة طرطوس القديمة

المصدر: الباحثة

2.4.3 السور الثالث:

أقدم أسوار القلعة وأول الاسوار التي بناها فرسان الهيكل في مدينة طرطوس. بلغت سماكته 2.5 م وارتفاعه 25 م تقريباً، وهو أكثر ارتفاعاً من السور الثاني. يحتفظ السور الثالث بحالته الأصلية على الرغم من التمدد السكني الذي طرأ على القلعة لاحقاً. (شكل رقم 12)

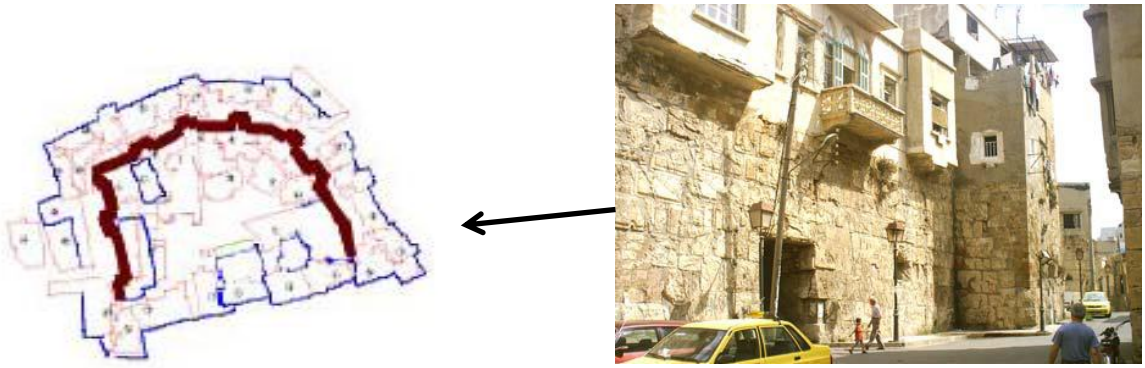

شكل رقم 12: السور الثالث لمدينة طرطوس القديمة

المصدر: الباحثة

3. الواقع الحالي لقلعة فرسان الهيكل:

تشغل مدينة فرسان الهيكل مساحة 4 هكتارات تقريباً. نظمت المدينة السكنية فيها على طرفي شارع يقع بين السورين الأول والثاني من قلعة فرسان الهيكل. وقسمت، كما كل مدينة اسلامية، الى قسمين: قسم عام يضم الجوامع، مدرسة، حمام وسوق. وقسم خاص يضم المساكن.

بالنسبة للشوارع: لن نلحظ في طرطوس القديمة نفس الطابع العام المسيطر في مدينة دمشق القديمة مثلا (أي وجود الشارع المستقيم والتخطيط الشطرنجي). في طرطوس إذاً، الموضوع مختلف: لقد أثر بناء المساكن على أنقاض القلعة الصليبية القديمة في رسم الشوارع في المدينة. لقد احترم البناؤون هنا وجود المباني الأقدم، لا طبوغرافية الأرض كما يحصل عادة عند تحديد الشوارع.

4. واقع مدينة طرطوس القديمة:

بعد الوقوف عند أهمية مدينة طرطوس القديمة تاريخياً، عمرانياً ومعمارياً، ودراسة وضعها الراهن، يمكننا تلخيص وضعها الحالي في النقاط التالية:

1. عدم الاهتمام بالنظافة في كافة أرجاء المدينة (شكل رقم 13).
2. غياب الوعي الاجتماعي لدى السكان بأهمية المدينة تاريخياً وسياحياً.
3. غياب البنى التحتية اللازمة.
4. تضرر النسيج العمراني للمدينة بشكل كبير.
5. التشوهات البصرية المنتشرة في كافة أرجاء المدينة والناجمة عن كم المخالفات الهائل وعدم تطبيق القوانين والمواثيق الدولية الناظمة.
6. غياب الاستثمار السياحي بكافة أشكاله.
7. سوء التنسيق بين الجهات الرسمية الفاعلة.

شكل رقم 13: واقع مدينة طرطوس القديمة

المصدر: الباحثة

1. رؤى مستقبلية:

في تسعينيات القرن الماضي، أبرم مجلس مدينة طرطوس اتفاقية عبر الاتحاد الدولي للمدن المتحدة للاستفادة من خبرة مدن أوروبية في مجال إعادة التأهيل. أدت هذه الاتفاقية إلى تعاون بلديات أليكانتي (اسبانيا)، برغامو (ايطاليا)، وبالما دي مايوركا (اسبانيا) مع مجلس مدينة طرطوس من أجل وضع مشروع

شامل للنهوض بالمدينة القديمة انقاذاً لتراثها المعماري. سنتطرق هنا لتجربة مدينة بيرغامو في إعادة التأهيل، وعرض المعالجات المقدمة من الجهات الفاعلة فيها للنهوض بها وتأهيلها بالشكل اللائق وفق المواثيق الدولية.

1.1. تجربة مدينة بيرغامو / إيطاليا:

من بين التجارب الثلاث السابقة، سنسلط الضوء على أهم الاجراءات المتبعة في مدينة بيرغامو الايطالية للنهوض بالمدينة وإعادة تأهيلها (شكل رقم 14):

1. تفعيل الساحة الرئيسية والفراغات العامة: وذلك بإشغالها بشكل مستمر بفعاليات مختلفة من شأنها استقطاب السياح من داخل المدينة وخارجها، على سبيل المثال لا الحصر، إقامة المعارض الخارجية المتنوعة لمنتجات تتفرد بها المدينة مثل الكروشيه وبعض أنواع الحلويات، إقامة فعاليات فنية.....الخ.
2. التأكيد على المباني ذات القيمة التاريخية في المدينة: أي اظهار المباني التاريخية التي تميز المدينة والعمل على إعادة تأهيلها، سواء بالمحافظة على وظيفتها الأصلية أو إعادة توظيفها، مما ينعكس إيجاباً على الحركة السياحية في المدينة.
3. استغلال الطوابق الأرضية المطلة على الساحة والأزقة بوظائف تجارية، فنية وترفيهية.
4. المحافظة على الإكساء الأصلي للساحة والشوارع، أي الابقاء على الرصف الحجري الاصلي إن وجد، أو العمل على إعادة الرصف بما يتوافق مع الحالة الأصلية للشوارع.

شكل رقم 14: مدينة بيرغامو/ ايطاليا

المصدر: David Burton[28]

استنتاجات وتوصيات (اقتراحات للنهوض بواقع طرطوس القديمة):

بعد الاطلاع على تجربة مدينة بيرغامو في إعادة التأهيل، وانطلاقاً من الميزات التي تتمتع بها مدينة طرطوس القديمة، نستطيع الآن التوصل إلى مجموعة من الاقتراحات للنهوض بواقع هذه المدينة، نلخصها بالنقاط التالية:

1. العمل على إبقاء السكان في مساكنهم، وتأمين فرص العمل اللازمة والضرورية لهم من خلال إمكانية مشاركتهم في أعمال الترميم وإعادة التأهيل. مع إمكانية اخلاء السكان من ثلاث مبانٍ فقط: الدونجون، قاعة الفرسان، وكنيسة الفرسان.
2. الاهتمام بالنظافة الكاملة والدائمة لجميع شوارع وأزقة المدينة، وذلك بالتنسيق مع مجلس المدينة عن طريق فرز وحدة خاصة عاملة في المدينة القديمة وعلى مدار الساعة.
3. التوعية الاجتماعية لسكان المدينة، وذلك من خلال إقامة ندوات ودورات من شأنها تعريف السكان المحليين بأهمية مدينتهم التاريخية وبضرورة الحفاظ عليها.
4. الحد النهائي والكامل من التجاوزات وإزالة كافة المخالفات من جميع أنحاء المدينة مهما كان موقعها ونوعها.
5. إزالة الاسفلت والبيتون ومحاولة إعادة رصف الشوارع لإعادتها إلى سابق عهدها.
6. إزالة كافة التمديدات الكهربائية وتمديدات شبكة الهاتف وتحويلها إلى شبكات تحت أرضية.
7. تفعيل الساحة الرئيسية في المدينة بإشغالها بشكل دائم بفعاليات مختلفة، تجارية وفنية، نذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر: إقامة المعارض المتنوعة، خصوصاً أن المدينة تشتهر بالعديد من الصناعات اليدوية.
8. التأكيد على المباني ذات القيمة التاريخية في المدينة، وترميم المتهدم منها لتصبح مناطق جذب سياحي.
9. استغلال الطوابق الأرضية المطلة على الساحة والأزقة بوظائف تجارية، فنية وترفيهية.
10. الاهتمام بالواجهات، ترميمها، التأكيد على المفردات المعمارية التاريخية وإدخال هذه المفردات ضمن العمارة الحديثة بالتنسيق مع اللجان المختصة.
11. اعداد دراسة خاصة للإنارة الخارجية لما لها من أثر كبير في إظهار معالم المدينة.

[28] Alamy Stock Photo

12. العمل على إصدار دليل سياحي، ورقي والكتروني، يتضمن أهم المعالم الواجب زيارتها في المدينة، وذلك باقتراح مسار سياحي يمر بأهم المباني التاريخية والتراثية في المدينة.
13. وضع خطة عمل متكاملة لإعادة تأهيل مدينة طرطوس القديمة.

خاتمة

بعد دراسة معمقة لمدينة طرطوس القديمة، والتطرق إلى أبرز معالمها المعمارية عبر التاريخ، نستطيع القول أن هذه المدينة لا تملك حالياً أية هوية. لقد فقدت وتفقد نسيجها العمراني وعناصرها المعمارية القديمة في الوقت الذي لم تكتسب فيه أية هوية عمرانية ومعمارية جديدة. يجب المحافظة على هذه المدينة وعلى نسيجها العمراني، خصوصاً أنها تمثل تجربة فريدة من نوعها: ألا وهي بناء منازل وإنشاء مدينة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، وذلك باستخدام الطوابق الأرضية لمدينة أخرى أقدم موجودة في الموقع.

واجبنا الآن تجاه هذه المدينة التاريخية أن نعيد إليها ألقها وذلك بإعداد مشروع إحياء متكامل تشترك فيه جميع الجهات المعنية (حكومية ومدنية)، وفق خطط مدروسة وذلك بالسرعة القصوى لتلافي التدهور الذي نراه في المدينة.

المراجع

1. ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، الجزء الثاني، المجمع الثقافي، 2003.

2. BUNNI A., « La Syrie à l'époque hellénistique et romaine», *Syrie, mémoire et civilisation*, Flammarion, 1993.

3. BARBE H. et DAMATI E., «Le château de Safed», *La fortification au temps des Croisades*, 2004.

4. BORDONOVE G., *La vie quotidienne des Templiers au XIII^e siècle*, 1975.

5. CLAVERIE P. V., *L'ordre du Temple en Terre Sainte et à Chypre au XIII^e siècle*, Nicosie Cyprus Research Centre, 2005.

6. CAHEN C., *La Syrie du Nord à l'époque des Croisades et la principauté franque d'Antioche*, Geuthner, Paris, 1940.

7. CONTENAU G., *La civilisation phénicienne*, Payot, Paris, 1926.

8. DESCHAMPS P., *Les châteaux des Croisés en Terre Sainte, III, La défense du Comté de Tripoli et la Principauté d'Antioche*, texte et plans, Geuthner, Paris, 1973 , II, *La défense du Royaume de Jérusalem*, texte et plans, Geuthner, Paris, 1939.

9. DUSSAUD R., *Topographie historique de la Syrie antique et médiévale*, tome IV, Geuthner, Paris, 1927 .

10. ENLART C., *Les monuments des Croisés dans le royaume de Jérusalem, Architecture religieuse et civile*, textes I, II, et plans, Geuthner, 1925, 1927.

11. KARFOUL, D., *La conception architecturale de l'habitat urbain en Orient méditerranéenne du XIV^e au XIX^e siècle, étude d'architecture domestique, l'exemple de la vieille ville de Tartous/ Syrie*, thèse de doctorat, Université Lumière, Lyon II, Vol. I, II, III, IV, V, 2008.

12. PILLET M., *Syria*, t. X, Geuthner, Paris, 1929.

13. REY G., *Étude sur les monuments de l'architecture militaire des Croisés en Syrie et dans l'île de Chypre*, Imprimerie nationale, Paris, 1871.

14. REY - COQUAIS J.P, *Arados et sa pérée aux époques grecque, romaine te byzantine*, Paris, 1974.

15. YANOSKI M.-J., DAVID M.-J., *Syrie ancienne et moderne*, Firmin Didot Frères, Paris, 1848.